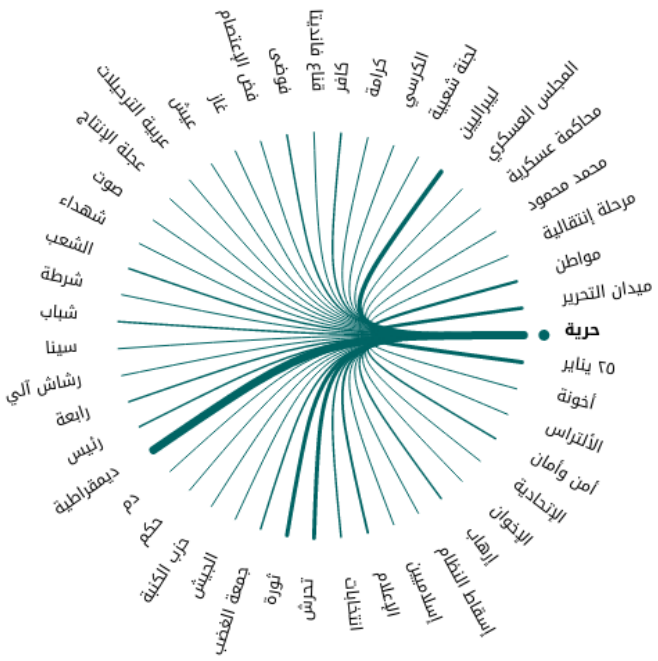

إنتي عارفة الحرية، كله عارفين الحرية. الحرية ما في أحسن منها.

يوم ٢٥ يناير أنا سمعت الكلمة دي في الميدان. بدأت بعد ما كنا موجودين في ميدان التحرير، بقى في السلفي وفي الإخواني وفي الجهادي وفي المسيحي وفي الليبرالي وفي مش عارف إيه... بدأنا نقف على الحرية هنا إيه؟ بدأنا نخش في اختلافات عليها.

حرية، زي إيه... الإنفتاح مثلا، الدنيا تبقى منفتحة شوية. حرية الأداء بتاعي أو حرية شخصيتي، أفعالي طالما إن هي مش بتأذي حد.

المعنى البسيط بالنسبالي لكلمة حرية أن أنا أبقى حر طالما إن أنا مبضرش حد، أو أنا مببقاش سبب أن أنا إيفكت على حد في حاجة.

الحرية دي دايرة جوه دايرة الأمن، فلما اتكلم اتكلم عن دايرة الأمن الأول، وبعد كده اتكلم عن دايرة الحرية.

الحرية أنا الواحد مثلا يمشي في الشارع فمفيش حد بيتكلم معاه، الواحد بيروح أي حتة متتكلمش معاه: «رايح فين؟» - «جي منين؟» - «إنت بتعمل إيه؟» خلاص، أنا معايا البطاقة بتاعتي، الأثبات بتاعتي: «أهي البطاقة». و: «تمام البطاقة أهي». دي الحرية.

فكرة الحرية بالنسبالي شخصيا، إن هو البني آدم يحقق ذاته الإنسانية المتكاملة. أنا كبني آدم اللي أنا هبقى مبسوط لو هعمل كذا وكذا وكذا... أنا هعرف أعمل كذا وكذا وكذا وكذا، ولا يمنعني عنها فقر ولا يمنعني عنها سلطة، ولا يمنعني عنها عنف أو كده. اللي أنا عايز أعمله، مش هيضر بحد... يعني دي حياتي أنا الشخصية، ودي حرية.

الحياة بدون حرية ما فيها حياة، لأي إنسان: لمرأة أو لراجل أو لأي واحد.

الحرية بالنسبالي هو تقبل الآخر، التعايش السلمي للجميع، إن كلنا نتقبل بعض: مسيحي، مسلم أي ديانة تاني يقدروا يعيشوا مع بعض... أي توجه سياسي يقدر يعيش مع التاني... أقدر أعبر عن أفكاري وأرائي بحرية ومن غير أي تتبعات أو مراقبات.

الحرية في رأي، هي إنت حر ما لم تضر. يعني طالما أنا مش بضرك في حرية تنقلك، ولا بضرك في أكل عيشك، ولا بضرك في الحاجات اللي هي في صلب الموضوع يعني، ولا بفرض عليكي رأيي بالعنف، ولا بعمل أي حاجة من دي... بحترم القانون، خلاص... إنت زعلان ليه بقى؟

الناس فهماهة حاجة تاني: أن إنت ممكن تكون بتأذي الناس أو بتأذي مجموعة كمان من الناس، تحت شمسية الحرية. الحاجات اللي كانت محرمة قبل كده، وبعملها دلوقتي من غير ما حد يحاسبني، هي دي الحرية.

يعني حرية المقصود بيها حرية شخصية ولا حرية شعوب؟

يمكن ألف حاجة تخش في الحرية، صح؟

يعني حرية سياسية أو اجتماعية، أو حرية شخصية زي ما بيقولوا برضه.

في الحرية كحرية الدولة.

حرية الإبداع بدون قيود. حرية التعبير بدون قيود. حرية التنقل بدون قيود. حرية حتى الإرتباط بالآخر بدون قيود.

حرية المرأة حاجة تاني. حرية المرأة هي حرية أن اتنقل في الشوارع دون أن يتم التحرش بيا، حرية أن اعبر بدون إن تفرض عليا أن اصمت لإن أنا أمراة، حرية أن أنا أعبر وأبدع، ومن ضمنها زي الراجل، حرية اختيار الطريقة التي تمارس بيها الجنس.

احنا حلمنا... أنا وناس كتير... حلمنا إنه الكلمة دي هتتحقق في مصر.

طبعا المفهوم ده تطور في العصر اللي احنا فيه، في العصر الحديث. الإعلام طبعا بيقول أن الحرية دي هي الحرية الغربية. يعني في فترة من الفترات كانوا بيتكلموا أن الحرية ده هما جايبين مصطلحات الحرية من بره عشان يهدموا الدولة ويهدموا مؤسسات الدولة... يعني حاجات زي كده.

الحرية اللي موجودة في مصر هي حرية شكلية بس. يعني مثلا أنا حر أن أنا أكل وأشرب اللي أنا عايزه، فهماني إزاي؟ في حريات اللي احنا الناس كلها وخداها من ميت ألف سنة، والناس عايشة بيها، والحريات دي اللي موجودة.

أما حريات العصر الحديث... القدرة على التحديات، القدرة على كشف الحساب، حرية أن أنا أقف ضد الظلم، لنظام كائن... مش موجودة.

الفوضى الموجودة في البلد في مصر بتخلي الواحد عنده حرية أكتر في الحاياة اليومية: تاكلي، تروحي هنا، تشتري ده، تعملي ده.

معندناش احنا حرية خالص. مفيش حرية الرأي، ولا حرية التعبير، ولا أي حاجة... وكل واحد اللي هو البقاء للأقوى يعني. والقوي اللي هو بيكسب على الضعيف.

أنا مش شايف حرية. يعني مثلا كنت نازل الأسبوع اللي فات بسكارف، كنت خايف أن أي حد يشوفه كدهوت في الشنطة بتاعتي عشان عارفين أن اللي بيلبس الإسكارفات ديت يا إما ٦ أبريل، يا إما إخوان... بس أنا ولا ده ولا ده. أنا واحد مستقل، أنا واحد مصري.

الحرية في منطق الآخر، مش في المنطق بتاعي.

يعني فكرة الحرية دي بتبقى مع العيلة، بتبقى مع المجتمع، بتبقى مع علاقتك مع... مع يعني جوزك أو صاحبك، بتبقى مع أخواتك.

الحرية شيء متبادل: يعني أنا أعطيله حريته، هو يعطيلي حريتي. لما يشوف حاجة، مش هيشوفها غريبة. مثلا هيشوفني برقص بالليل لغاية الصبح، هيقول: «مش غريبة». ليه؟ أنا أعطيله حريته. فدايرة الحرية هي دايرة واحدة، فالكل يطوف حواليها، مثل الكوكب نجوم تطوف حواليها.

ما هي الحرية الاجتماعية اللي أنا أقدر أن أنا أخدها أو تكون متاحة لي في داخل المجتمع بتقاليد وأعراف معينة... كمجتمع شرقي، متدين بكافة أطيافه، سواء كان مسيحي أو مسلم؟ هي تحمل نوع من المسئولية: أن أنا حر فأنا مسئول عما اتخذه من قرار.

يعني هديكي موقف. روحنا قعدنا جماعة شباب، كانوا مجموعة هما مع بعض أنا معرفهمش، مكانش فيهم حوالي غير اتنين مصريين. فلقيت واحد منهم بيقول إن هو هيلبس الqueen dress وهينزل ميدان التحرير بيطالب بحق الgays and lesbians. طبعا الحوار استفزني يعني: «أنت بتقول إيه إنت!» كان واحد بيتكلم بجد يعني: هو واحد مصري، هو شاب مصري. فكنت أنا طب: «أنت بتتكلم فين من السياق الثقافي للمجتمع اللي إنت فيه؟» قلتله: «ده إنت كده بتضرب الثورة في مقتل». لإن أنا عندي سياق ثقافي وحضاري أنا عايش فيه... تمام... عندي عاداتي وتقاليدي، عندي مجتمع بعيدا عن أي شكل من الأشكال هو في، في أغلبه.

المجتمع بيضغط على الناس إن يبقى ماشي بطريقة معينة. أنا حاسة إن في ضغط اجتماعي، أكتر من حتى السياسي. احنا طول الوقت بنبقى محبوسين في حاجة. طول عمري أنا دايما بحاول أن أنا أعيش بطريقة أن أنا أبقى حرة فيها يعني. يعني أنا أهلي مكانوش عايزيني أسافر أدرس بره، قعدت أكتر من سنة أحاول، أحاول، أحاول، وبعدين قدمت لوحدي وبعدين اتخانقت وبعدين جبت منحة... يعني فاهمة يعني طول عمري بحاول أن أنا أعمل اللي أنا عايزاه. بس مش سهلة يعني، فاهمة، بتبقى لحاجات بسيطة بتلاقي نفسك تعملي حاجة أد كده عشان حاجة المفروض تبقى بسيطة يعني.

دلوقتي أنا هعمل اللي أنا عايزه، بس لازم أبقى عامل حسابي أن أنا هواجه مشاكل مع الناس وأنا بعمل اللي أنا عايزه. يعني لإن الناس مش هتسيبني أعمل اللي أنا عايزه. الناس عندها مشكلة في تقبل المختلف، قبل الثورة وبعد الثورة. أنا هبقى شايف أن أنا حر في أن أنا أعمل كذا، إنت ممكن تكون معترض على كده لمجرد أن إنت مش شايف نفسك تقدر تعمل كده، فأنت مش هتخليني أعمل كده.

للأسف الشديد، الحرية في مصر يقولك واخدة شكلين: يا إما يقولك حرية ولكن كل حرية ليها حدود، ويبدأ يفرض الحدود الدينية والأخلاقية اللي هو مؤمن بيها عليا... يا إما حر على الجانب الآخر أن أنا حر أبلطج عليكي، حر أمشي في الشارع عكس بالعربية، حر أكون سايق عربية نقل وأروح واقف بيها في وسط الطريق، حر أن أنا أقولك: «متجيش المنطقة دي تاني، متدخليهاش». حرية البلطجة.

ناس بقى ولاد الكلب اللي هما بتوع حزب الكنبة دول: «هي الحرية إنك تكسر وتضرب وتبقى قليل الأدب في الشارع؟!» طب ده واحد أصلا فكرته عن الحرية أصلا؟ واضح إن في خلل ما في دماغه... نفسي أفهم طب إنت دماغك فيها إيه؟!

قبل الثورة كنت حر أكتر. يعني كنت أنا حر... مكانش في حاجة بتضايقني، مكانش في حاجة حاططها في دماغي، كان في أمن. حرية إيه بقى! لازم يكون في أمن... لازم يكون في أمن. مشيني بالقانون، بس متجيش عليا! يعني ما أنا بقولك حاجات اللي هي احنا مش عارفين نعملها.

الحرية عند المواطن الجاهل بيستعملها كفوضى: يعني خلاص بقت كل حاجة مباحة ليه. مينفعش الشعب يكون معندوش حرية خالص، وعنده كبت وإكتئاب، وعنده مشاكل كتيرة إجتماعية وسياسية واقتصادية، وفي كل المجالات، إن هو يتحول مرة واحدة لملاك. مينفعش.

الناس، الحرية بالنسبالها أكل العيش. أصل مجيش أكلمه عن الديمقراطية ولا الانتخابات ولا الإستفتاءات والكلام الهجص ده كله، وهو جعان!

احنا في مصر عندنا شعب مش عايز حرية خالص: عايز حد يضربه بالجزمة يحكمه.

حرية لسه قدامها كتير أوي في بلدنا يعني. بس يعني هو، بعد الثورة الحرية بقت أكتر، حرية التعبير بقت أكتر وأوضح، بس هي بتقمع الأيام دية.

يعني مفيش مصطلح اسمه «الحرية» في حكم أي طاغي. هما كلهم معندهمش حاجة اسمها حرية: يعني ميقدروش يحكموا البلد والشعب حاسس بحريته. لازم الشعب يبقى مستعبد وحاسس إنه ضعيف.

أخدنا حريتنا بعد الثورة احنا. كان ضاغط علينا، ظلم. لو إنت واقف على الشارع بتشاور عايز تركب يقولك: «إنت واقف تعمل إيه هنا؟ مستني مين؟ إنت إبن مين؟» ويسألك سؤلات غريبة. يعني ممكن يشوفك كده على الشارع يوقفك، أقف ويركبوك البوكس ويودوك، وممكن يحبسك أسبوع، أسبوعين... مزاج كده بطر كده للّه. من سنين هربت، الحكومة هربت من هنا. هربت لإنها كانت متشتغلش. احنا بالنسبالنا أحسن، واحنا اللي حمينا منطقتنا. احنا أهل المنطقة هنا، احنا حمينا منطقتنا. لا حد أشتكى من نويبع، وخدنا حريتنا.

الحرية لازم تيجي من جوه الفرد، مش من بره. لازم يؤمن بحريته: واحنا غير مقتنعين بحريتنا.

بعد الثورة، أنا واحد من الناس حسيت إن في حرية. التلت سنين اللي فاتوا، كنت بقول رأيي: كنت بنزل وبشارك وبقول: «أنا عايز»، وكذا، و«وقف دي»، و«مش عايز دي».

كان في حرية في ده على مدار التلت سنين. ولكن دلوقتي رجعنا للأول، مش هيبقى في حرية. ولو احنا جينا بصينا دلوقتي: اللي بيطلع يتكلم يقول رأيه بيتوقف و... بيتقتل.

رجعنا لألعن... مش عاوز أقول لفظ... وأوحش وأوسخ من الأول. معدش في حرية. تعالى دلوقتي مثلا لما تيجي تقول إيه: «أنا متعاطف بس مع رابعة». متعاطف، مجرد تعاطف ومش مع شرعيتهم، الناس يقولوا عليك إخوان ويحطوا عليك. إيه! إنت الحرية بتاعتك فين؟

المفروض أنا اتكلم على أي حاجة في البلد، عشان دي تخصني أنا وتخص أهلي وتخص أخويا وتخص صاحبي... كله. المرحلة دي لسه مجتش. لسه. إن أنا أقول براحتي وأتكلم براحتي: لسه.

معندناش حرية فكرية، اللي هي إنت تحترم فكري وأنا أحترم فكرك. الحرية مش هتيجي إلا احنا نتعلم الإحترام من نفسنا، من جوانا، ونغير نفسنا من جوانا ونحارب الفساد اللي جوانا.

حقيقة الأمر إن الحرية الاجتماعية هي الشيء الأساسي. مؤسسة الأسرة دي عليها إن تعرف، إن تتعلم، إن تمارس الحرية بين أبنائها. فإنت لما بتخرج أجيال متعلمة، وسلطة الأب وسلطة الأسرة وسلطة المجتمع عليك، بتتحول إلى علاقة ديمقراطية أو حرية اجتماعية. في اللحظة دي وبالطريقة دي، يبقى احنا محطناش العربية قدام الحصان. بمعنى الحرية الاجتماعية أولا، ثم تأتي الحرية السياسية ثانيا.

العلوم هي أساس كل حاجة. يعني إنتي لو سألتيني: «إيه أغلى حاجة في الدنيا؟» هقولك: «المعلومة».

مش الصاروخ ولا الكمبيوتر ولا أي حاجة. المعلومة! إنت مش هتتحول من واحد محبوس، مسجون لحرية في ساعات أو سنة. لازم تاخدها تدريجي، يبقى في سيطرة من الجيش ومن الشرطة مع الرئيس اللي شغال، خطوة... خطوة... خطوة... عشان نوصل للي احنا عايزينه، اللي هي الحرية. مش إن احنا فجأة كد، هنلاقي في حرية.